الباب الخامس عشر

فيما يضاف وينسب الى طبقات الشعراء

حلة امرء القيس ، يوم عبيد ، حكم لبيد ، حوليات زهير ، صحيفة المتلمس قدح ابن مقبل ، منديل عبده ، لسان حسان ، سيف الفرزدق ، بنات نصيب غزل ابن أبي ربيعة ، عين بشار ، طبع البحتري ، ابر أبي حكيمه ، تشبيهات ابن المعتز ، عتاب جحظة ، غلام الخالدي

الاستشهاد

حلة امرئ القيس — يضرب مثلا للشيء الحسن يكون له أثر قبيح والمبرة يكون في ضمنها عقوق ، والكرامة يحصل منها اهلاك ، وذلك ان امرئ القيس ابن حجر لما خرج الى قيصر يستنجده على قتلة أبيه ويستعينه في الاستيلاء على ملكه أكرمه وأمده بجيش ، ثم لما صدر من عنده وشى الوشاة به اليه وأخبروه بما يكره من شأنه وخوفوه عاقبة أمره ، فندم على تجهيزه وأتبعه بحلة مسمومة عزم عليه أن يلبسها في طريقه ، فلما لبسها تقرح جلده وتساقط لحمه واشتد سقمه ففي ذلك يقول

وبدلت قرحا داميا بعد صحة ... وبدلت بالنعماء والخير أيؤسا

ولو ان نوما يشتري لاشتريته ... قليلا كتغميض القطا حيث عرسا(١)

فلو انها نفس تموت صحيحة ... ولكنها نفس تساقط أنفسا

ثم لما نزل انقره مات بها وانما سمي «ذا القروح» لهذه القصة

يوم عبيد — يضرب مثلا لليوم الطالع المنحوس الطالع . وكان عبيد ابن

«١» التعريس الاستراحة والموضع المعرس

Digitized by Google

الابرص تصدى فيه للنعمان بن المنذر في يوم بؤسه الذي كان لا ينجو منه ملاقيه كما لا يخيب من لقيه في يوم نعيمه . فقال له ياعبيد انك مقتول فانشدني قولك — اقفر من أهله عبيد — فانشده

اقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

ثم أمر به فقتل، وسار يوم عبيد مثلا كما قال أبو تمام

لما أظلتني سماؤك أقبلت تلك الشهود عليّ وهي شهودي

من بعد ما ظن الاعادي انه سيكون لي يوم كيوم عبيد

حكم لبيد — يضرب مثلا في الميت يبكى عليه والغائب يحترم له سنة واحدة لان لبيدا يقول

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

والى هذا المثل يشير أبو تمام في قوله

ظعنوا وقد ابكيت حولا بعدهم ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

حوليات زهير — يضرب بها المثل في جيد الشعر و بارعه . وهي أمهات قصائده وغرر كلماته التي كان لا يعرض واحدة منها حتى يحول عليها الحول وهو يجتهد في تصحيحها وتنقيحها وتذهيبها وتهذيبها . وكان يقول : خير الشعر الحوليّ المنقح المحكك ، وعهدي بالخوارزمي يقول — من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجي الحطيئة وهاشميات الكميت ونقائض جرير والفرزدق وخمريات أبي نواس وزهريات أبي العتاهية ومراثي أبي تمام ومدائح البحتري وتشبيهات ابن المعتز وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم وقلائد المتنبي ولم يتخرج في الشعر فلا أشب الله تعالى قرنه

صحيفة المتلمس — يضرب مثلا لمن يحمل كتابا فيه حتفه . وكان طرفة بن

Digitized by Google

العبد وخاله جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمس ينادمان عمرو بن هند الملك فبلغه انهما هجواه ،فكتب لهما الى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما انه أمر لهما فيهما بجوائز وقد كان أمره بقتلهما ،فخرجا حتى اذا كانا بالنجف اذا هما بشيخ في الطريق يحدث ويأكل من خبز في يده ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه ، فقال له المتلمس : ما رأيت كاليوم شيخا أحمق ، فقال له الشيخ : وما رأيت من حمقي ؟ أخرج خبيثا وأدخل طيباً وأقتل عدوا ،وأحمق مني والله من يتحمل حتفه بيده . فاستراب المتلمس بقوله . وطلع عليه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ ياغلام ؟قال نعم ، ففك صحيفته ودفعها اليه فاذا فيها: أما بعد فاذا أتاك المتلمس بكتابنا هذا فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا ، فأخذها المتلمس وقذفها في نهر الحيرة :ثم قال لطرفة :ان في صحيفتك والله مافي صحيفتي . فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ علي، ثم وأخذ المتلمس نحو الشام فنجا برأسه وتوجه طرفة نحو البحرين وأوصل الكتاب الى عاملها.فلما قرأه قال له: ان الملك قد أمرني بقتلك فاختر أي قتلة تريدها ؟ فسقط في يده وقال : ان كان لابد من القتل فقطع الاكحل(١) فأمر به ففصد من الاكحل ولم تشد يده حتى نزف دمه فمات، وفي ذلك يقول المجتري ويجريه مثلا في اختيار خير الشرين

ولقد سكنت الى الصدود من النوى ... والشري(٢) سهل عند طعم الحنظل

وكذاك طرفة حين أوجس ضربة ... في الرأس هان عليه قطع الاكحل

وممن ضرب المثل بصحيفة المتلمس من قال للفرزدق وقد أخذ كتابا من بعض الملوك الى عامله بصلة له

---

(١) الاكحل عرق في اليد يفصد (٢) شرى جلده من الشرى وهي خراج صغار لها لذع شديد

Digitized by Google

ألق الصحيفة يافرزدق لاتكن نكداء مثل صحيفة المتلمس

وكتب شريح الى مؤدب ابنه يشكوه ويذكر لعبه بالكلاب ويأمره بتعزيره .

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها نحو الهراش مع الغواة الرجس
فليأتينك غادياً بصحيفة نكداء مثل صحيفة المتلمس
فاذا أتاك فضه بملامة وأنله موعظة اللبيب الأكيس
فاذا هممت بضربه فبدرّة واذا ضربت بها ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما فعلت فنفسه مع ما تجرعني أعز الأنفس

وقال يعقوب بن الربيع في مرثية جاريته ملك

حتى اذا احتبس اللسان واصبحت للموت قد ذللت ذبول النرجس
وتكاءبت منها محاسن وجهها وعلا الأنين تحسه بتنفس
رجع اليقين مطامعي يأساً كما رجع اليقين مطامع المتلمس

قدح ابن مقبل — يضرب مثلا في حسن الاثر ، ويروى ان عبد الملك ابن مروان كتب الى الحجاج : ما أعرف أن أرى لك مثلا الا قدح بن مقبل ، فلم يعرف معناه واغتم لذلك حتى دخل عليه قتيبة بن مسلم وكان راوية للشعر حافظاله عالما به ، فسأله عنه ، فقال : ابشر أيها الامير فانه قد مدحك ، أما سمعت قول ابن مقبل وهو يصف قدحا له

غدا وهو مجدول وراح كأنه من المس والتقليد في الكف أفصح
خروج من الغماء ان صك صكة بدا والعيون المستكفة (١) تلمح

ويحكى عنه انه كتب اليه مرة أخرى : اما بعد فانك سالم والسلام . فلم

(١) المستكفة الموضوع عليها الكف للنظر

Digitized by Google

يدر ما معناه حتى نبه على انه اراد قول عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في ابنه سالم رضي الله عنه

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والانف سالم

هكذا وجدته في غير كتاب واحد ، ثم وجدت نسخة رقعة للصاحب الى العامل بجرجان قال فيها — أخبرني أبو العباس محمد بن يزيد قال : قلت للعتبي كنت احب أن أعرف موقعي من قلبك، قال موقع سالم وسالم؟ يعني سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وموقعه من أبيه فقد كان يكلف به حتى انه يقبله وقد شاخ الابن ويقول: شيخ يقبل شيخاً . وسالم الآخر مولى هشام المقول فيه

يديرونني عن سالم واديرهم وجلدة بين العين والانف سالم

والاخ الفقيه أبو سعد أدام الله عزه عندي كسالم وسالم بل هو كالسلامة فهي أخص موقعاً وأشرف موضعاً —

منديل عبدة قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه وكان يتجنب غير الادباء: أي المناديل أفضل؟ فقال قائل منهم، ومناديل اليمن كانها أنوار الربيع وقال آخر: مناديل مصر كأنها غرقىء(١) البيض. فقال عبد الملك ما صنعتم شيئاً أفضل المناديل منديل عبدة يعني عبدة بن الطبيب في قوله من قصيدة

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل

نعفي من الحمر ما يؤتي الطباخ به ما غير العلي منه فهو مأكول

ثمت نهضنا الى جرد مسومة أعرافهن لايدينا مناديل

والاصل في هذا المعنى قول امرئ القيس

(١) غرقىء البيض أي قشره

Digitized by Google

نمس باعراف الجياد ا كفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

لسان حسان — يضرب به المثل في الذلاقة والطول والحدة. ويقال شكره شكر حسان لآل غسان، ولما هجا النبي صلى الله عليه وسلم شعراء المشركين كابن الزبعري وكعب بن مالك، قال صلى الله عليه وسلم :ألا رجل يردّ عنا، فقال حسان بلى يارسول الله، وأشار الى نفسه ،فقال له: اهجهم وروح القدس معك ،فوالله ان هجاءك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام والق أبا بكر — رضي الله عنه — يعلمك تلك الهنات. فلما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أخرج حسان لسانه ثم ضرب بطرفه أنفه وقال: والله يارسول الله مايسرني به مقول من معد . والله اني لو وضعته على شعر لحلقة أو على صخر لقلقه(١) قال الجاحظ :فلا ينبغي أن يكون قال حسان الا حقا وكيف يقول باطلا والنبي صلى الله عليه وسلم يأمره وجبريل يسدده والصديق يعلمه والله يوفقه .وقال غيره من ظريف أمر حسان انه كان يقول الشعر في الجاهلية فيجيد جداً ويغبر في وجوه الفحول ،ويدعي ان له شيطانا يقول الشعر على لسانه كعبارة الشعراء في ذلك، فلما ادرك الاسلام وتبدل الشيطان بالملك تراجع شعره وكاد يرك قوله ،هذا ليعلم ان الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب في طريقه من الركاكة، وانا استغفر الله من هذا القول فاني اكرهه

سيف الفرزدق — يضرب مثلا للسيف الكليل بيد الجبان .وقصته ان جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة وأمه ولادة بنت العباس العبسية وأخواله بنو عبس، وكانوا يتعصبون على الفرزدق ويبغضونه لهجائه

(١) اللقلقة صوت طائر طويل يأكل الحيات وهو صوت في حركة واضطراب ومنه حديث عمر — ما لم يكن نقع ولا لقلقة

Digitized by Google

قيس بن غيلان ، ويحبون جريرا لمدحه اياهم، فقرظوا جريرا عند سليمان وذموا الفرزدق، وكان سليمان عازماً على قتل اسرى من أعلاج الروم ، فجاء رجل من بني عبس الى الفرزدق وقال : ان أمير المؤمنين سيأمرك غدا بضرب عنق أسير من أسرى الروم، وقد علمت أنك وان كنت تصف السيوف وتحسن فانك لم تمرن بها وهذا سيفي انما يكفيك ان تومىء به فيأتي على ضريبته، وأتاه بسيف مثلم. فقال الفرزدق ممن أنت ؟ فخشي أن يقول من بني عبس فيتهمه فقال : من بني ضبة أخوالك، فعمل الفرزدق على ذلك ووثق به. فلما كان من الغد وحضر الفرزدق والوفود دار سليمان وجيء بالاسرى أمر سليمان واحداً منهم هائل المنظر أن يروع الفرزدق اذا أخذ السيف ويلتفت اليه ويفزعه ووعده أن يطلقه اذا فعل ذلك ، ثم قال للفرزدق قم فاضرب عنقه فسل سيف العبسي فضربه به فلم يؤثر وكلح الرومي في وجهه فارتاع الفرزدق فضحك سليمان والقوم فجاء جرير وقال يعيره

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فارعشت ... يداك وقالوا محدث غير صارم

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم ... اذا أثقل الاعناق حمل المغارم
فهل ضربة الرومي جاعلة لكم ... اباء كليب أو أبا مثل دارم

وقال أيضاً في الاعتذار من نبو السيف

أيعجب الناس ان أضحكت سيدهم ... خليفة الله يستسقي به المطر
لم ينب سيفي من رعب ولا دهش ... من الاسير ولكن أخر القدر
ولن يقدم نفساً قبل ميتتها ... جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

Digitized by Google

وقال أيضاً

فان يك سيفي خان أو قدر انبا ... لابعاد يوم حتفه غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... وتقطع أحيانا مناط القلائد

وقرأت في رسالة لابن العميد الى ابن سمكة ـ جرب جعلت فداءك ماقلته واختبرني فيما ادعيته . فان لم أفعل فدمي حلال لك فاقتلني بسيف الفرزدق وكلني بخل وخردل

بنات نصيب — كان عبدا أسود لبني كعب بن حمزة. وكان شاعرا مفلقا ولشعره ديباجة ، ولما سئل عنه جرير قال : هو أشعر اهل جلدته ، فقال عمر بن لحاظم بن المراغة: مايقال لمثله اشعر اهل جلدته ولا أشعر أهل بلدته ، وقد يقال لمثله هو اشعر الناس وان كان فيهم من هو اشعر منه. وكان لنصيب بنات نفض عليهن من لونه فهن يشبهنه في الادمة والدمامة. وكان يحبهن جداً وفيهن يقول

ولولا أن يقال صبا نصيب ... لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها ... اذا ظلمت فليس بها انتصار

وكان يربأ بهن عن العجم ولا يرغب فيهن العرب فبقين معنسات (١) وصرن مثلا للبنت يضن بها أبوها فلا يرضى من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاه لها. وقد ضرب بهن المثل أبو تمام لشعره حيث قال

أما القوافي فقد حصنت عذرتها ... فما يصاب دم منها ولا سلب
منعت الامن الاكفاء منكحها ... وكان منك عليها العطف والجذب
ولو عضلت عن الاكفاء أيمها ... ولم يكن لك في اظهارها أرب

(١) العنس البكر التي لا يرغب فيها

Digitized by Google

كانت بنات نصيب حين ضنّ بها عن الموالي ولم تحفل بها العرب

غزل بن أبي ربيعة - هو عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي أغزل خلق الله واغنجهم (١) شعرا في الغزل وأرقهم طبعاً في النسيب. وليس له شعر في المدح والهجاء والفخر ،وانما قصر شعره كله على ذكر النساء وصرف معظم شعره الى الشرائف و بنات الخلائف لاسيما اذا حججن واعتمرن وظهر المستور من محاسنهن وكان يذهب في طريق من قال: اني لأعشق الشرف كما يعشق غيري الجمال و يروى انه ولد في الليلة التي قبض فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسمى باسمه، فكان الناس يقولون: أي حق رفع وأي باطل وضع ، وقال له عبد الملك ابن مروان يوماً وقد سمع شعره : بئس جار الغيور (٢) أنت، وكان طاووس يقول اذا سمع شعره: ماعصي الله تعالى بشعر كما عصي بشعر عمر. ولما قال له هشام ما يمنعك عن مدحنا ،قال اني أمدح النساء لا الرجال، ومن ظريف مايحكى عنه أن نعمى احدى صواحباته اغتسلت في غدير فاقام عليه يشرب منه حتى جف،وكان أخوه الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة لايقاره على تغزله ومجونه ، فبينما هو ذات يوم في منزل عمر قد استلقى في مقيله اذ دخلت عليه صاحبته الثريا فالقت نفسها عليه وهي تظنه عمر فقام الحارث مغضباً يجر رداءه وأراد أن يخرج فتلقاه عمر وسأله عن حاله فاخبره بحديث المرأة والقائها نفسها عليه ، فقال ابشر ياأخي فلا تمسك النار بعدها أبدا

ولما أنشد عمر قوله

ويوم كتنور الطواهي سجرته وألقين فيه الجزل حتى تضرما
قذفت بنفسي في اجيج سمومه ولازلت حتى ابتل مشفرها دما

(١) الغنج بسكون الغين حسن الشكل (٢) الغيور شديد الغيرة

Digitized by Google

قال له أخوه: الله أكبر قد أخذت في فن آخر من الشعر، فلما أتبعها بقوله

أؤمل ان القى من الناس عالما باخباركم أو ان ألمّ مسلما

قال له انك لفي ضلالك، وقد ضرب به الصاحب المثل حيث قال في رسالة له

وأنت أغزل من عمر اذا حج واعتمر

عين بشار — كان بشار بن برد من عجائب الدنيا، وذلك انه كان أعمى أكمه لم يبصر شيئاً قط وهو القائل

كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وهو القائل في وصف ذكره

عجل الركوب اذا اعتراه نافض(١) واذا أفاق فليس بالركاب

وتراه بعد ثلاث عشرة قائماً مثل المؤذن شك يوم سحاب

وفي عين بشار يقول مخلد بن علي السلامي وهو يهجو ابراهيم بن المدبر ويدعو عليه

رأيتك لاتحب الودّ الا اذا ما كان من عصب وجلد

أراني الله وجهك جاحظيا وعينك عين بشار بن برد

طبع البحتري — يضرب به المثل لان الاجماع واقع على انه في الشعر أطبع المحدثين والمولدين، وان كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة، ويقال ان شعره كتابة معقودة بالقوافي لان فيه مثل قوله

انا الله يبقيه المدى ويحوطه بقاءك حسن للزمان وطيب

ولا كان للمكروه نحوك مذهب ولا لصروف الدهر فيك نصيب

(١) النافض المحرك

Digitized by Google

وقوله

ماضيع الله في بدو ولا حضر رعية أنت بالاحسان راعيها
وامة كان قبح الجور يسخطها دهرا فاصبح حسن العدل يرضيها

فانظر الى شرف هذا الكلام وسهولته وصعوبته على من يقصد تعاطي مثله

وممن ضرب به المثل السلامي حيث قال

وأعطيت طبع البحتري وشعره فمن لي بمال البحتري وعمره

وقال بعض العصريين (١)

يالابساً لثقاب ورد أحمر يافارشا وجهي بورد أصفر
حتى م تحلني بخصر ناحل وتعلني بعليل طرف أحور
ياواحدا في الحسن ها أنا أوحد في الحزن أصلى نار وجد مضمر
وأظل بين تذلل وتحير اذ أنت بين تدلل وتجبر
مالي بوصفك سيدي من طاقة ولو انني استمليت طبع البحتري

ايراد أبي حكيمة — ذكر الاعضاء لايؤثم وانما الاثم في ذكرها عند شتم الاعراض وقول الرفث في أكل لحوم الناس وقذف المحصنات ،قال النبي صلى الله عليه وسلم — من تعزّ بعزاء الجاهلية فاعضوه بهنّ أبيه ولا تكنوا (٢) وقال أبو بكر رضي الله عنه لبديل بن ورقاء حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ان هؤلاء ان مسهم حرّ السلاح أسلموك - اعضض ببظر امك أنحن نسلمه؟ وقال علي رضي الله عنه: من يطل ايرأبيه ينتطق به. وايرأبي حكيمة راشد بن اسحاق في كثرة ماقال في مدحه سالفاً وذمه آنفاً ووصفه بالضعف والوهن والفشل

(١) يعني مؤلف الكتاب بذلك نفسه (٢) قال الازهري أي قولوا له اعضض بايرأبيك ولا تكنوا عن الايربالهن كما قلت تاديباً له وتنكيلا

Digitized by Google

يجري مجرى المثل وينخرط في سلك طيلسان بن حرب وضرطة وهب وحمار طياب وشاة سعيد ، ولقد استفرغ شعره في ذلك وأتى بالنوادر والملح السوائر ويقال انه كان يكتب لاسحاق بن ابراهيم المصعبي فاتهمه بغلام له فاخذ في هذا الفن من الشعر تنزيهاً لنفسه عن التهمة حتى صار عادة له، فمن ملحه قوله

لم تكتحل عيناي مذ شقتا ... بمثل ايري بين رجلي أحد
ايرٍ ضعيف المتن رث القوى ... لو شئت أن اعقده لانعقد
ان يمس كالبقلة في ليتها ... فطال ما أصبح مثل الوتد

وقوله

كأن ايري من لين مقبضه ... خريطة قد خلت من الكتب
كأنه حية مطوقة ... قد جعلت رأسها مع الذنب

وقوله

ايرٍ تعفف واسترخت مفاصله ... مثل العجوز حناها شدة الكبر
يقوم حين يريد البول منحنياً ... كأنه قوس نداف بلا وتر
ولا يقوم اذا أنبهته سحرا ... كما تقوم ايور الناس في السحر

وقوله

ينام على كف الفتاة وتارة ... له حركات مايحس بها الكف
كما يرفع الفرخ بن يومين رأسه ... الى أبويه ثم يدركه الضعف

وأراد كشاجم أن يتعاطى فن أبي حكيمة فاشق غباره على ارتفاع مقداره في الشعر حيث قال

أصبح ايري للضعف منضما ... كانما فيه ناقض الحمى
أصفى وأشفى على الردى وغدا ... اصم عما أروعه أعمى

Digitized by Google

وكان كالزير (١) في توتره فانحط حتى حسبته بما
لم يبق فيه حظ تؤمله سعدى ولا تستلذه سلمى

تشبيهات ابن المعتز — يضرب المثل بها في الحسن والجودة ويقال اذا رايت كاف التشبيه في شعر ابن المعتز فقد جاءك الحسن والاحسان. ولما كان غذي النعمة وربيب الخلافه ومنقطع القرين في البراعة تهيأ له من حسن التشبيه مالم يتهيأ لغيره ممن لم يروا مارآه ولم يستحدثوا مااستحدثه من نفائس الاشياء وطرائف الالات . وبهذا المعنى اعتذر ابن الرومي في قصوره عن شأو ابن المعتز في الاوصاف والتشبيهات، فمن انموزج تشبيهاته الملوكية قوله في وصف الهلال

وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وقوله

ونسيم يبشر الارض بالقط ر كذيل الغلالة المبلول
ووجوه البلاد تنتظر الغيـ ـث انتظار المحب رجع الرسول

وقوله

وأمطر الكاس ماء من أبارقه فأنبت الدر في أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجباً نورا من الماء في نار من العنب

وقوله في الآزريون

كان أزريونها والشمس فيها عاليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غالیه

ومن سائر تشبيهاته التي تفرد بها قوله

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

(١) الزير الوتر الدقيق (٢) البم الوتر الغليظ من أوتار المزهر

Digitized by Google

وقوله في المعتضد

مايحسن القطر ان ينهل عارضه كما تتابع أيام الفتوح له

وقوله

أطال الدهر في تعداد همي وقد يشقى المسافر أو يفوز
فظلت بها على رغمي مقيما كعنين تضاجعه عجوز

وقلائد تشبيهاته ولطائف تمثيلاته أكثر من ان تحصى

عتاب جحظة — يشبه به مارق ولطف لقوله

ورق الجوّ حتى قيل هذا عتاب بين جحظة والزمان

وللبديع الهمزاني من رسالة له اخوانية بيننا عتاب لحظة كعتاب جحظة واعتذارات بالغة كاعتذارات النابغة —

غلام الخالدي يضرب به المثل في الكياسة والشهامة والنفاذ في حسن الخدمة وجمع محاسن المماليك ومناقب العبيد. وهو غلام أبي عثمان الخالدي أحد الاخوين الخالديين اللذين يهجوهما السري الموصلي ويدعي عليهما سرقة شعره. وحدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي: ان اسم هذا الغلام رشاش وانه رآه بعد موت مولاه أبي عثمان في ناحية أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، قال: وهو اليوم وزير قراد العقيلي حاكم البلد والجامعين والقصر قال مؤلف الكتاب: قرأت أنا بخطه (أي بخط الغلام) في مجموع من شعر الخالديين بخط أحد الاخوين في دفتر اعارنيه أبو نصر سهل بن المرزبان — كتب بن سكرة الهاشمي الى أبي عثمان يسأله عني فكتب اليه

ماهو عبد لكنه ولد خولنيه المهيمن الصمد
وشد أزري بحسن صحبته فهو يدي والذراع والعضد

Digitized by Google

صغير سن كبير معرفة تمازج الضعف فيه والجلد
معشق الطرف كحله كحل معطل الجيد حليه جيد
وغصن بان اذا بدا واذا شدا فقمري بانة غرد
ثقفه كيسه فلا عوج في بعض أخلاقه ولا أود
ماغاظني ساعة فلا صخب يمر في منزلي ولا حرد
مسامري ان دجى الظلام فلي منه حديث كأنه الشهد
خازن مافي يدي وحافظه فليس شيء لدي يفتقد
يصون كتبي فكلها حسن يطوي ثيابي فكلها جدد
وحاجبي فالخفيف محتبس عندى به والثقيل مطرد
وصيرفيّ القريض وازن د ينار المعاني الجياد منتقد
ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على ان يزيد مجتهد
وحافظ الدار ان ركبت فما على غلام سواه اعتمد
ومنفق ومشفق اذا أنا اسـ ـرفت وبذرت فهو مقتصد
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمـ ـسك القلايا والعنبر الثرد
وواجد بي من المحبة والرأ فة أضعاف مابه أجد
اذا تبسمت فهو مبتهج وان تنمرت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت له صفات لم يحوها العدد

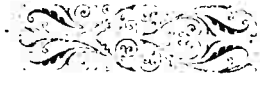

الباب السادس عشر

فيما يضاف وينسب الى البلدان والاماكن

عزيز مصر، أسقف نجران، أبدال الشام، ملكا بابل، جنة عبقري، حجام ساباط، قاضي منى، قاضي جبل، سحرة الهند، شيخ العراق، ظريف العراق، صوفية الدينور، لصوص الري

الاستشهاد

عزيز مصر — في القرآن — امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه. وفيه أن اخوة يوسف قالوا له — يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر — وكانت هذه تحية ملوكهم وعظمائهم والى الآن، قال بعض الظرفاء في الاقتباس من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام

أيهذا العزيز قد مسنا الضر جميعا وأهلنا أشتات
ولنا في الرحال شيخ كبير ولدينا بضاعة مزجاة

وقال أبو الحسن بن طباطبا وهو يهجو مرة بن رستم

خليليّ اغتمت فعللاني بصوت مطرب حسن وجيز
عزيزة(١) رق خاطرها فازرت برقة خاطر امرأة العزيز

أسقف نجران — هو قس بن ساعدة احد بل أوحد حكماء العرب وبلغائهم وقد تقدم ذكره وضرب المثل بخطابته وبلاغته وهو القائل

منع البقاء تقلب الشمس وغدوها من حيث لا تمسي
وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس(٢)
اليوم أعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمسي

«١» عزيزة اسم هذه المرأة «٢» الورس بكسر الواو نبت أصفر ينبت باراضي اليمن تتخذ منه الغمرة للوجه

Digitized by Google

أبدال اللكام — يضرب به المثل في الزهد والعبادة ورفض الدنيا . وهم الزهاد والعباد الذين جاءت الآثار بان الله تعالى انما يرحم العباد ويعفو عنهم وينظر لهم بدعائهم .لايزيدون على سبعين ولا ينقصون عنها ،فكلما توفي واحد منهم قام بدل عنه يسد مكانه وينوب منابه ويكمل عدة الابدال،ولايسكنون مكانا من أرض الله تعالى الا جبل اللكام ،وهو من الشام يتصل بحمص ودمشق ويسمى هناك لبنان ثم يمتد من دمشق فيتصل بجبال انطاكية والمصيصة ويسمى هناك اللكام : قال المتنبي أبو الطيب

بها الجبلان من صخر وفخر أنافا(١)ذا المغيث وذا اللكام

فهؤلاء الابدال يضافون مرة الى لبنان كما قال الشاعر

وجاور جبال الشام لبنان انها معادن ابدال الى منتهى العرج(٢)

وتارة يضافون الى اللكام كما قال أبو دلف الخزرجي وهو يصف مجاورته لاصحاب الغايات من الدنيا والدين

وجاورت الملوك ومن يليهم كما جاورت ابدال اللكام

ويقال ان تلك البلاد الشامية لم تزل على وجه الارض متعبدات الانبياء والاولياء من عباد بني اسرائيل وزهادهم ومواضع مناجاتهم ومحال كراماتهم لاسيما موسي وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام . وهي الآن مواطن الابدال وفيها عيون عذبة وأشجار كثيرة تشتمل على كل الثمرات لاسيما التفاح اللبناني فان اللبناني منه موصوف بحسن اللون وطيب الرائحة ولذاذة الطعم يحمل منه في القرابات الى الآفاق ،وهؤلاء الابدال يتقوتون منها ومن السمك ولا

(١) أنافا اشرفا من علو (٢) العرج بفتحتين الانعطاف والميل

Digitized by Google

يفترون آناء الليل والنهار عن ذكر الله وعبادته ولا عن اسمه والخلوة بمناجاته الى ان ينتقلوا الى جواره طوبي لهم وحسن مآب

ملكا بابل — هما هاروت وماروت اللذان ذكرهما الله تعالى فقال — وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت يضرب بهما المثل في السحر والفتنة كما قال بعض أهل العصر (١)

وسائل عن دمعي السائل وحال لوني الكاسف الحائل
قلت له والارض في ناظري أوسع منها كفة الحابل
بليت والله بملوكة في مقلتيها ملكا بابل
أو سيف مأمون بن مأمون الـــقرم الهمام الملك العادل

جنة عبقري — قال الجاحظ - هو كما يقول العرب أسد الشرى وذئاب الفضاء و بقر الجواء ووحش وجرة وظباء جاسم، فيفرقون بينها و بين ماليس كذلك. اما في الخبث والقوة واما في السمن والحسن فلذلك يفرقون أيضاً بين مواضع الجن فاذا نسبوا الشكل منها الى موضع معروف فقد خصوه من الخبث والقوة والعرابة بما ليس لجملتهم ، قال لبيد

ومن قاد من اخوانهم و بنيهم كهولا وشبانا كجنة عبقري

وقال

غلب تشذر (٢) بالدخول كانها جن البدي (٣) رواسيا أقدامها

وقال حاتم

عليهن فتيان كجنة عبقر يهزون بالايدي الوشيج المقوما

---

(١) يشير مؤلف الكتاب بذلك الى نفسه كما مر (٢) غلب ملتفة وتشذر تقطع
(٣) البدي الامر العجيب

Digitized by Google

وقال زهير

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوماً ان ينالوا فيستعلوا

قال ولذلك قالوا: لكل شيء فائق أو شديد عبقرى، وفي القرآن — وعبقري حسان، وفي الحديث في صفة عمر رضوان الله عليه: فلم أر عبقريا يفري فريه(١) وقال اعرابي: ظلمني ظلما عبقرياً(٢)

حجام ساباط — يضرب به المثل في الفراغ، يقال: أفرغ من حجام ساباط كما يضرب المثل في الشغل بذات النحيين فيقال أشغل من ذات النحيين. ومن خبره أنه كان حجاماً ملازماً لساباط المدائن فاذا مر به جند وقد ضرب عليهم البعث حجمهم فستة بدانق واحد الى وقت قفولهم. وكان مع ذلك يمر به الاسبوع والاسبوعان ولا يدنو منه أحد، فعندها يخرج أمه فيحجمها ليرى الناس انه غير فارغ، فما زال ذلك دأبه حتى نزف دم أمه فماتت فجأة وصار فراغ الحجام مثلا. وسمعت الخوارزمي يقول: ان هذا الحجام حجم مرة كسرى ابرويز فامر له بما أغناه عن الحجامة، فكان لا يزال فارغا مكتفياً يضرب بفراغه المثل كما قال ابن بسام

دار أبي جعفر مفروشة ماشئت من بسط وأسماط(٣)
وبعد ما بينك من خبزه كبعد بلخ من سميساط
مطبخه قفر وطباخه افرغ من حجام ساباط

(١) أي قوياً يصنع صنعه (٢) العبقر بوزن العنبر موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته وقوته فخاطبهم الله بما عرفوه فقال — وعبقري حسان — (٣) الاسماط جمع سمط وهو الخيط ما دام فيه الخرز

وكان ابن الرومي اذا ذكر ابا الوراق(١)في شعره يسميه وراق سابا ط كما قال

دعني اليه أبا حفص سأتركه حجام ساباط بل وراق ساباط

قاضي منى — يضرب به المثل في احتمال المشقة والتزام المؤونة معا. وربما يقال : أرخص من قاض منى، أنشدني أبو بكر الخوارزمي لغيره

قلت زوريني فقالت عجباً اتراني يافتي قاضي منى
اذ يصلي وعليه زيهم أنت تهواني وآتيك أنا

قاضي جبل — يضرب به المثل في الجهل، فيقال أجهل من قاضي جبل وجبل مدينة طسوج كسكر، وكان قاضيها أغر محجلا فرفع الى المأمون أنه بعض الخصوم فوقع يزنق(٢)وكان هذا القاضي قضى لخصم جاءه وحده ثم نقض حكمه لما جاءه الخصم الآخر ففيه يقول محمد بن عبد الملك

قضي لخاصم يوماً فلما أتاه خصمه نقض القضاء
وذامنك العدو وغبت عنه فقال بحكمه ما كان شاء

فهذا المثل سائر بالعراق في قاضي جبل كما أن المثل سائر بالحجاز في قاضي منى ،وقاض ثالث يضرب به المثل في ماوصفه به أبو اسحاق الصابي حيث قال

يارب علج اعلج مثل البعير الاهوج
رأيته متطلعاً من خلف باب مرتج
وخلفه دنيئة تذهب طورا وتجي
فقلت قاضي أيذج فقال قاضي أيذج

(١) الوراق من يكتب بالاجرة «٢» يزنق أي يعمل له زناق وهو رباط من الجلد يشد به تحت الحنك

Digitized by Google

وقاض رابع يضرب به المثل أهل جرجان وطبرستان في اضطراب الخلقة وهو قاض شلنبة ،أنشدني أبو نصر العمدي قال أنشدني أبو الحسن بن الجوهري لنفسه

رأيت رأسا كدبه ولحية كالمذبه
فقلت ذاالتيس من هو فقال قاضي شلنبه

سحرة الهند — يضرب بهم المثل لان للهند السحر والرقي والتدخين والحساب والشطرنج وخرط التماثيل ، كما ان للعرب البيان والشعر والفروسية والقيافة، وللروم الطب والتنجيم والقرسطون واللحون والتصاوير والبناء، وللفرس السياسة والعمارة واستعمال علوم الامم

شيخ العراق — كان يقال ذلك بالاطلاق للمهلب بن أبي صفرة، ولما وفد عليه زياد الاعجم وهو يقاتل الازارقة بتوج(٢) اكرمه وأنزله على حبيب ابنه وقال له أحسن قراه ،فجلسا يوماً يشربان في بستان فغنت حمامة على فنن فطرب لها زياد، فقال حبيب: انها فاقدة الف كنت أرادمعها، فقال زياد هو أشد لشوقها وأنشأ يقول

تغنى أنت في ذمي وعهدي وذمة والدى ان لاتضارى
فانك كلما غردت صوتا ذكرت أحبتي وذكرت داري
فاما قتلوك طلبت ثارا لانك ياحمامة في جواري

فضحك حبيب ودعا بقوس بندق ورماها ببندقه فسقطت ميتة ، فنهض زياد مغضباً وقال :أخفرت ياحبيب ذمتي فقتلت جارتي؛ وسار الى المهلب وشكاه اليه فغضب له وقال لحبيب: أما علمت ان جار أبي أمامة جاري وان ذمته ذمتي؛

(١) اسم بلد

Digitized by Google

والله لالزمنك دية الحر والعبد ،فأخذ من ماله ألف دينار ودفعها الى زياد ،فقال من قصيدة له

فلله عينا من رأي كقضية قضى لى بهاشيخ العراق المهلب
قضى ألف دينار لجار أجرته من الطير اذ يبكي شجاه ويندب

فرفع الخبر الى الحجاج فاستحسنه وقال لشئ ماسوّدت العرب المهلب!!

ظريف العراق — هو شراعة ابن الزنديون،يضرب به المثل في الظرف ولما بلغ الوليد بن اليزيد خبره أمر باحضاره اليه ،فرأى به ما يزيد مخبره على خبره .وكان مما دار بينهما ان قال له الوليد :ماتقول في الشراب ؟ قال عن أيه تسألني ياأمير المؤمنين؟قال ماتقول في الماء؟ قال هو قوام البدن ويشاركني فيه الحمار،قال:ماتقول في اللبن؟ قال ما نظرت اليه الا استحييت من أمي لطول ارضاعها اياه لي، قال:ماتقول في الخمر؟قال آه صديقة روحي، قال فانت أيضاً صديقي فاقعد فقعدوانبسط ثم سأله عن أصلح الامكنة للشرب ؟فقال عجبت ممن تحرقه الشمس ولم يغرقه المطر كيف لايشرب الا مصحرا ؟فوالله ماشرب الناس على وجه أحسن من وجه السماء وصفو الهواء وخضرة الكلاء وسعة الفضاء وقمر الشتاء

صوفية الدينور — يضرب بهم المثل لكثرتهم بها واستيطان أعيانهم اياها وخفاق مذهبهم فيها كما يقال —حكماء يونان وصاغة حران وحاكة اليمن وكتاب السواد وفعلة سجستان ولصوص طوس وجرابزة مرو وملاح بخاري وصناع الصين ورماة الترك وقحاب الهند

لصوص الري— دخل أبو عباد ثابت بن يحيى الى المأمون وهو يختال في مشيته ، فقال المأمون

زهر خراسان وتيه النبط ونخوة الخود وغدر الشرط

Digitized by Google

أجمعت فيك ومن بعد ذا انك رازي كثير الغلط

قال الصولي :أراد بقوله رازي كثير الغلط انه يرتفق فنسبه الى اللصوصية لان اللص الحاذق ينسب الى الري، ومثل بيتي المأمون ما أنشده الاصمعي

اذا ما بدا عمرو بدت منه صورة تدل على مكنونه حين يقبل

بياض خراسان ولكنة فارس وجثة رومي وشعر مفلفل

الباب السابع عشر

فيما يضاف وينسب الى أهل الصناعات

سرى القين ، راية بيطار ، راحة صباغ ، حمار القصار ، كلب القصاب، بيت الاسكاف ، حرص النباش، تيه المغني، جنون المعلم ، رغفان المعلم ، كذب الدلال، كذب الصناع ، قسوة الفدادين

الاستشهاد

سرى القين — يضرب مثلا لمن يظهر الشخوص وهو مقيم ويعرَف بالكذب فلا يصدق وان صدق ،واصله ان القين وهو الحداد بالبادية ينتقل في مياه القوم فاذا كسد عليه عمله قال لاهل الماء. اني راحل عنكم الليلة ، وان لم يرد ذلك ولكنه يشيعه ليستعمله من الناس من يريد استعماله .ولما كثر ذلك من قوله قالوا اذا سمعت بسرى القين فاعلم انه مصبح .والبديع الهمذاني من رقعة: شر الحمام الداجن ومقيم الماء ياجن(١) وانك لتؤذن بالبين ثم تصبح عن سرى القين ويلك ما هذه الرعونة والاخلاق الملعونه

(١) ياجن يأجن مخففة من أجن على وزن ضرب أي تغير

Digitized by Google